مافيها من بساطة».[٣] هذه الملاحظة تأتي في سياق الحديث عما يسميه المفكر الألماني «روح وجماليات الشعر اليهودي المقدس» كما يشير الكتاب في تتمة عنوانه. وهي ملاحظة منسجمة مع الخط العام لهذا المفكر الذي يجد الباحثون في آثاره جذور عدد من العلوم الأوروبية المنشأ التي تطورت فيما بعد كعلم الإناسة أو الأنثروبولوجيا، وفقه اللغة المقارن، إضافة إلى علم الفولكلور. فالأطروحة التي لم يتوقف هيردر عن العودة إليها لتأصيلها وإيضاح أهميتها والدعوة إلى تبنيها هي أن المصدر الحقيقي للثقافة وبالتالي للوجود والهوية الإنسانية المتميزة ليس سوى الطبيعة بوصفها الحضن الأول للجنس البشري. ذلك ما يقوله في كتابه الرئيس *معالم لفلسفة تاريخ الإنسان* (١٧٨٤-١٧٩١)، إذ يؤكد نظرة نسبية للتاريخ الإنساني يتميز فيها كل شعب بهبة من الطبيعة. فالشعوب التي افتقرت إلى الفكر لم تعدم حسًا موسيقيًا متفوقًا، وهكذا.[٤]

في هذه الأفكار تكمن أهمية هيردر بالنسبة لتطور الرومانتيكية الأوروبية والاهتمام بالموروث الشعبي معًا. فقد استطاع ذلك المفكر، وهو ابن عصر التنوير، العصر الذي منح العقل أعلى المراتب، أن يرفع من شأن القدرات الإنسانية النقيضة أو المقابلة للعقل، وهي الخيال والحس الذاتي أو الفطري وغيرها مما آمن به الرومانتيكيون وفضلوه على العقل المجرد. ومع أنه اتفق في ذلك مع روسو، فقد اختلف عنه في جوانب عدة منها قوله إن الحضارة لا تؤثر سلبًا وبالضرورة على الخيال الشعبي وما ينتجه من فولكلور.[٥] ولربما كان من أسباب هذا الاختلاف أن هيردر كان بحاجة إلى ما يرفد دعوته إلى استعادة الهوية القومية الألمانية. فقد وجد المفكر الألماني أن المصدر الوحيد

---

(٣) انظر كتاب هيردر *المحاورات الشرقية* (١٨٠١)

Herder, J.G., *Oriental Dialogues: Containing Conversations of Eugenius and Alciphron on the Spirit and Beauties of the Sacred Poetry of the Hebrews* (London: T. Cadell Jun. & W. Davies 1801) 9

(٤) الإشارة إلى كتاب هيردر في فلسفة التاريخ:

Outlines of a Philosophy of the History of Man tr. Churchill (London.2nd ed.,1983) I, 388.

(٥) Gene Bluestein, *The Voice of the Folk: Folklore and American Literary Theory* (Massachusetts: U. of Massaschsets P, 1972) XIV